باسم الله، هذه قصيدة للأعشى.

✦ ✦ ✦ ✦ ✦

قال:

كانتْ وَصاةٌ وحاجاتٌ لنا كَفَفُ لو أنَّ صَحْبَكَ إذا ناديْتَهُم وَقَفُوا

على هُرَيْرةَ إذْ قامتْ تُوَدِّعُنا وقد أتى من إطارٍ دونَها شَرَفُ

وصاة: وصية. يروى: لها.

الكفف: المغني.

أتى دون الشيء: حالَ ومَنَع منه. قال:

ألا يا لَقَومي لِلجديدِ المصرَّمِ ولِلْحِلْم بعد الزَّلَّةِ المتوهَّمِ

ولِلمرء يعتاد الصَّبابةَ بعدَ ما أتى دونَها ما فَرْطُ حَوْلٍ مُجَرَّمِ

الإطار: ما أحاط بالشيء، وقيل هو مكان بعينه. والشرف: الموضع المرتفع.

يقول: لو أن أصحابي وقفوا زمانَ طلبتُ منهم الوقوف عند هريرة التي ودعتنا وقد حال بيننا وبينها ما حال لكُفيت لاعج شوقي وقضيت منها حاجتي ووصيتي إليها.

أَحْبِبْ بِها خُلَّةً لو أنها وَقَفتْ وَقَدْ تُزيل الحبيبَ النيَّةُ القَذَفُ

الخُلة: الخليلة والزوجة ونحو هذا، يقول كعب:

أَحْبِبْ بها خلة لو أنها صَدَقَتْ موعودَها أو لوَ ان النّصْحَ مقبولُ

لكنها خلة قد سِيط من دَمِها فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخلافٌ وَتَبْديلُ

فما تدومُ على حالٍ تكون بها كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغولُ

ولا تَمَسَّكُ بالعهد الذي زَعَمَتْ إلا كما يمسكُ الماءَ الغرابيلُ

فَلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَت إنَّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ

أزال الشيءَ: رَحَّله ونقله عن مكانه، ينسب للحارث الجُرْهُمي:

بلى نحنُ كُنَّا أهلَها فأزالَنا صروفُ الليالي والجُدودُ العواثرُ

النيّة القَذَف: الوجهة المطلوبة البعيدة، في اللسان: 'نِيَّةٌ قَذَفٌ، بِالتَّحْرِيكِ، وَفَلَاةٌ قَذَفٌ وقُذُفٌ أَيضا مِثْلُ صَدَفٍ وصُدُف وطَنَفٍ وطُنُفٍ أَي بَعِيدَةٌ تَقاذَفُ بمَنْ يَسْلُكها'، قال جرير:

لَمَّا ارتَحَلْنا وَنَحوَ الشامِ نِيَّتُنا قالَتْ جُعادَةُ هذي نِيَّةٌ قَذَفُ

يقول: يا حسنَها وحسنَ عِشرتِها لو أقامت وأقمنا عندها وطاب الوصال واللقاء، لكن حَمَلَها على النأي قطعُ قومِها بلادًا عريضة، ومثلُ هذا ينأى بسببه المحب.

إنَّ الأَغَرَّ أبانا كان قالَ لنا أُوصيكمُ بِثَلاثٍ إنني تَلِفُ

الأغر: السيِّد. وتروى: الأعزّ.

تَلِفُ: ميِّت، يعني أنه سيموت فاسمعوا عني ما أوصيكم به.

الضيفَ أوصيكمُ بالضيفِ إن له يومًا من الدهرِ يثنيهِ فيَنْصَرِف

والجارَ أوصيكمُ بالجارِ إن له حَقًّا عليَّ فأعطيه وأَعْتَرِفُ

وقاتلوا القومَ إن القَتْلَ مكرُمَةٌ إذا تَلوَّى بكف المُعْصِمِ العُرُفُ

يثنيه: يميله ويقضي حاجته من النزول بالقوم.

أعترف: أعرفه وأقر به وأصبر.

المُعْصِمِ: الممسك.

العُرُف: شعر ناصية الفرس.

يقول: أوصيكم بإكرام الضيف فإنه لا بد راحل عنكم، فيذكركم بخير أو بشر، فكونوا أهل الخير والذكر السائر والشرف الرفيع، فإنه أحفظ لكم وأبقى. وأوصيكم بحفظ الجار وحمايته وله حق معروف لا يُكفَر وحرمة لا تستباح. والزموا القتال وقت القتال ولا تفروا ولا تهونوا ولا تضعفوا. وفي الديوان: [لا تكونوا كمن خفّ وخاف] أن يسقط عن دابته فأمسك بعرفها.

إنَّ الرِّبَابَ وحَيًّا من بني أَسَدٍ منهمْ بَقِيرٌ ومنهمْ سارِبٌ سلَفُ

الرِّباب: بالكسر، قبائل تميم وعوف وعدي وثور وأشيب. من مادة رَبَبَ، وهي مادة فيها معنى الاجتماع.

البقير: قال أبو عمرو: بَقِرَ الرجلُ يبقُر بَقْرًا وبَقَرًا، وهو أن يَحْسَر -والحَسْرُ والحَسَرُ والحُسُورُ: الإِعْياءُ والتَّعَبُ- فلا يكاد يبصر.

السارب: الذاهب الماضي بلا قيد. السالف: المتقدم.

في الديوان: هم بين متحير لا يعرف كيف يصنع ومتسرع قد انفلت يتقدم القوم.

قد صادفوا عُصْبَةً مِنَّا وسيِّدَنا كُلٌّ يؤَمِّلُ قُنيانا ويطَّرِف

قنيان: كسب المال ونحوه. اطَّرَف الشيءَ: اكتسبه حديثا.

يصف تلاقي الجمعين وما في نفوسهم.

قُلنا الصَّلاحَ فقالوا لا نصالحكم أهلُ النبوكِ وَعِيْرٌ فَوْقَهَا الخَصَفُ

الصلاح: مصدر صالَحَ، أي الزموا الصلح واحقنوا الدم.

النبوك: في اللسان: 'نَبْكٌ ونُبُوكٌ ونُباكة: مَوَاضِعُ'. وتروى: التَّبوك. والنَبَك ما ارتفع من الأرض، جمعه نِباك ونُبوك وأنباك وغير هذا. وقيل: هذا اسم نخلٌ.

الخصف: المنسوج من سعف النخل والخُوص ونحوه.

نقلتُ إعرابه من الديوان المحقّق.

لسنا بِعِيرٍ وبيتِ الله مائرَةٍ إلا عليها دروعُ القَومِ والزَغَفُ

المائر من النُّوق: النشيطة في سيرها. والمَوْر: التحرك والاضطراب، في التنزيل: (يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا)، قال الزمخشري: تَمُورُ السَّماءُ تضطرب وتجيء وتذهب.

الزَّغَف والزَّغْف: الدرع اللينة المحكمة النسج.

الديوان: قالوا: هل أنتم غير أهل نخل وعير عليها محمولكم من تجارة ونخل ونحوه. وأقول: وإني أقسم ببيت الله ما كانت إبلنا تضطرب حين تضطرب إلا محمّلة بالدروع والسلاح.

ولا بأهلِ نبوكٍ ذاتِ سافلةٍ إنا أُناسٌ رُءوسَ القومِ نَخْتَطِفُ

الشطر الثاني واضح. السَّافِلةُ: 'نَقِيضُ العالِية فِي الرُّمْح وَالنَّهْرِ وَغَيْرِهِ'.

تروى (نبوك) كسابقتها بالنون، فعليه: لعله كما نفى أن يكونوا أهل تجارة لا علم لهم بالحرب نفى أيضا أن يكونوا أهل زراعة لا علم لهم بالغزو والسلب والجهل، فيقول: لم نكن أيضا أهل نخل، بل كنّا قوما يلاقون عدوهم فنضرب الهامة حتى نشفي الصدور.

لما التقينا كَشَفْنَا عن جَماجِمِنا لِيَعْلَمُوا أنَّنا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفوا

يقول: لما التقى الجمعان حَسَرْنا عن رءوسنا وكشفناها ليعلموا أننا من بكر بن وائل فيُقذف الرعبُ في قلوبهم لِما علموه من بأسنا.

قالوا البقيّةَ والهنديُّ يَحْصُدُهُمْ ولا بقيَّةَ إلا النارُ فانكشَفوا

البقيةَ: أي لا تستأصلوا الجمع واتركو بقيّتهم ينجوا بنفوسهم، طلبا للرحمة. وهذا من دِين العرب فإنها لا تُفني. فقلنا لا بقية تبقى إلا الهلاك والموت. ثم هرب منهم من هرب.

الهندي: السيف تجلبه العرب من الهند، وهو من أحسن السيوف.

هل سَرَّ حِنْقِطَ أن القومَ صالَحَهُم أبو شُرَيْحٍ وَلَم يوجَدْ له خَلَف

إذْ آبَ جارتَها الحسناءَ قَيِّمُها رَكْضًا وآبَ إليها الثُّكْلُ والتَلَفُ

حنقط: زوجة رجل كان يقاتل مع الرباب. أبو شُريح: زوجها. الخَلَف: النَّسْل. الواو للحال.

آب: رجع. القيِّم: زوج المرأة، في الحديث: 'إنَّ مِن أشْرَاطِ السَّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ... ويَكْثُرَ النِّسَاءُ حتَّى يَكونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ'. الثَّكْل والثُّكْل والثَّكَل: الهلاك.

أي: ألم يكن سَرَّها أن يكون زوجها ممن رضي بالصلح ورجع لها سالما غير مقتول، كما رجع لجارتها زوجها إذ هرب؟

أمَّا تميمٌ فَقَدْ ذاقوا عداوتَنا وقيسَ عيلان مَسَّ الخِزْيِ والأَسَفُ

ذَاقُوا مُلَمْلَمَةً شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا لِلْمَوْتِ لَا عَاجِزٌ وَانٍ وَلَا قَصِفُ

الململم من الجيوش: الكثير العدد، قال جرير:

وقومٍ قد سموتَ لهم فَدَانوا بِدُهْمٍ في مُلَمْلَمَةٍ رَدَاحِ

أَبَحْتَ حمى تِهامةَ بعد نجد وما شيءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَباحِ

الشهباء: الكتيبة بيضاء الحديد صافيته. قال ابن الخطيم:

صَبَحناهُمُ شَهباءَ يَبرُقُ بَيضُها تُبينُ خَلاخيلَ النِساءِ الهَوارِبِ

الواني: الكالّ الضعيف القاعد.

القَصِف: رَجُلٌ قَصِف سَرِيعُ الِانْكِسَارِ عَنِ النَّجْدةِ، قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: شَاهِدُهُ قَوْلُ قَيس بْنِ رِفاعة:

أُولو أَناةٍ وأَحْلامٍ إِذَا غَضِبُوا لَا قَصِفُونَ وَلَا سُودٌ رَعابيبُ

وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا خَلَوْا عَنْ شَيْءٍ فَترةً وخِذلاناً: انْقَصَفُوا عَنْهُ.

يقول: قد ذاقت تميم ما علمت من بأسنا وتنكيلنا، وحلّ بقيس عيلان خِزي الأبد وفقدُ العدد والندامة، فقد ذاقوا منا بأسَ كتيبة شهباء مدرعة رئيسها كَمِيٌّ (في الحَربِ الضَروسِ مُوَكَّلٌ ... بِإقدامِ نَفسٍ ما يُريدُ بَقاءَها) فما كان مقصِّرًا ولا منهزما منكسرا.

فَرْعٌ نَمَتهُ فُرُوعٌ غَيْرُ نَاقِصةٍ مُوَفَّقٌ حَازِمٌ فِي أَمْرِهِ أَنِفُ

فِيهَا فَوَارِسُ مَحْمُودٌ لِقَاؤُهُمُ مِثْلُ الْأَهِلَّةِ لا مِيلٌ وَلَا كُشُفُ

بِيضُ الوُجُوهِ غَدَاةَ الرَّوْعِ تَحْسَبُهُمْ لُيُوثَ غَابٍ عليها البِيضُ وَالزَّعَفُ

نماه: كبّره.

أنِف: ذو أنفة، وهي العزة والإباء.

مِيلٌ: جمع أميل، وهو الخوّار الضعيف الذي لا يثبت على دابته في القتال.

الكُشُف: لا يُعرف واحدُ اللفظ، الذِينَ لَا يَصْدُقون القِتال. وعن ابن الأثير في اللسان: الكُشُفُ جَمْعُ أَكْشَف. وَهُوَ الَّذِي لَا تُرْسَ مَعَهُ كأَنه مُنْكشِفٌ غَيْرُ مَسْتُورٍ.

قال كعب أيضا:

إنَّ الرَّسولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

في عُصْبةٍ مِن قُرَيشٍ قال قَائِلُهمْ ببَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زالُوُا فما زال أَنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللِّقَاءِ ولا مِيْلٌ مَعَازِيلُ

الروع: الفَزَع، الحرب.

البِيض السيوف، أو هي البَيْض، وهي الخوذ.

الزَّعف: هكذا وجدتها، لا أعرفه. ولعلها الزغف، وقد مر. وفي النفس شيء.

✦ ✦ ✦ ✦ ✦

وجُنْدُ كِسرى غَداةَ الحِنْوِ صبَّحَهُم مِنَّا كتائبُ تُزْجِي الموتَ فانْصَرَفُوا

صار إلى ذِكر وقعة ذي قار.

الغَداة والغُدْوَة: الوقت بين الفجر وطلوع الشمس.

الحِنو موضع. والحِنو لغةً واحدُ الأحناء وهي جوانب المكان.

تُزجِي: تسوق وتجلب، قال ابن الرقاع يصف ظبية:

تُزْجِي أَغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِهِ قلمٌ أصاب من الدواة مِدادَها

لما أتونا كأن الليلَ يَقْدُمُهُمْ مطبِّق الأرضِ يغشاها بهم سَدَف

المطبِّق: المغطي. يقدمهم أي يسبقهم ويتقدمهم.

يقول أبو نخيلة:

لما رأيتُ الدِّينَ دينًا يُؤْفَكُ

وأمستِ القُبَّةُ لا تُسْتَمْسَكُ

يُفْتَقُ مِن أعراضها ويُهْتَكُ

سَرَت من الباب فَطار الدَّكْدَك

طَوْدٌ جَناباه القِنان الحُلَّكُ

منها الدَّجوجيُّ ومنها الأَرْمَكُ

كالليل إلا أنها تَحَرَّكُ!

السدف: من الأضداد، ظلام الليل وضوء النهار، يعرف بالقرائن، يقول المثقِّب:

وَأَلقَيتُ الزِمامَ لَها فَنامَت لِعادَتِها مِنَ السَدَفِ المُبينِ

يقول إنهم يسترون الأرض ويمنعون عنها شمسها، لكثرتهم.

جحاجحٌ وبَنو مُلْكٍ غَطارِفَةٌ مِنَ الأعاجِمِ في آذانِها النُّطَفُ

الجَحْجَاحُ: السيد الكريم. مثله الغِطْرِفَة.

النُّطَفُ: جمع نَطَفَة، وهي قُرْط الأذن، من اللؤلؤ ونحوه.

يصف جند كسرى وجموعه، سادة كرام من سادة العجم وملوكهم. وهزيمة السيد العظيم أشرف من غيرها.

كَأَنَّما الآلُ فِي حافَاتِ جَمْعِهُمُ والبِيضُ بَرْقٌ بَدَا فِي عارِضٍ يَكِفُ

الآل: مثل السراب، لكنه من الضحى إلى زوال الشمس.

البِيض السيوف. العارض: ما يبدو في الأفق من السحاب. والواكف من السحاب ما يسيل ماؤه.

يقول: كأن حركة سيوفهم ولمعانها في الآل الذي أحاط بهم حركة برق في سحاب.



إِذا أمالوا إلى النُّشَّابِ أيديَهُمْ مِلْنا بِبِيْضٍ فظَلَّ الهامُ يُخْتَطَفُ

النشاب: اسم للسهام. الهام: جمعُ هامة، وهي الرأس، يقول ذو الأصبع:

يا عمرُو إلا تدعْ شتمي ومنقصتي أضربْك حيثُ تقول الهامةُ اسقوني

الاختطاف: السلب والأخذ بسرعة، يعني كثرة القتل وشدته وسرعته.

ولعله يعني بقوله: 'إذا أمالوا..': إن مالوا إلى أسهمهم كنا أشجع وأقدم في الحرب وأخذنا سيوفنا ومضينا إلى رءوسهم نحصدها حصدا، يقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا، حتى إذا اطّعنوا ضارب، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

سبّاقَ غاياتٍ.

وظُعْنُنا خلفَنا كُحْلًا مدامِعُها أكبادُها وُجُفٌ مِمَّا ترى تَجِفُ

حَوَاسِرٌ عَنْ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبَرا وَلَاحَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسُفُ

هكذا يروونها بتكرار مادة وَجَفَ، وهذا غريب. وجف القلب: خفق واضطرب.

الظعن: النساء. العِبَر: جمع عَبْرة وهي الدمعة.

وتروى: نُجلا، أي واسعة حَسَنة.

حواسر: كاشفات الخدود. عاينَ الشيءَ: رآه. أو تثبت منه وتحقّقه.

لاحه: غير لونه وصيّره هزيلا. كسف: الكاسف اللون أي الذي تغير لونه فاسودّ أو اصفرّ أو نحو هذا، لِهَمٍّ وحزن.

أي: وخلفَنا نساؤنا نحامي عنهن، وقد اضطرب لُبُّهنّ من هول ما رأين. وقد سالت دموعهن من أعين نجلاء واختلطت الدموع بكحلهن وسالت على خدودهن، خدودٍ غيَّرَ لونها هولُ الموقف وأضمرها.

مِنْ كُلِّ مَرْجَانةٍ في البحرِ أخرجها غوّاصُها ووقاها طينَها الصَّدَفُ

من تشبيهات العرب، يصفون المرأة الحسناء الكريمة باللؤلؤة لِصونِها وحفظها وبياضها وصفائها، يقول جرير:

ما استوصف الناس عن شيء يروقهم إلا أرى أمَّ عمرو فوقَ ما وَصفوا

كأنها مزنةٌ غراءُ واضحةٌ أو درَّة لا يواري ضوءَها الصَّدفُ

فالخيلُ جامِحةٌ والبِيض مُعْمَلَةٌ فينا وفيهم لِوَشْكِ البَيْنِ تَخْتَلِفُ

جامحة: مسرعة نشيطة لا يكاد يردها شيء.

أَعْمَلَ الرمحَ ونحوه: طعن به وأنفذ. قال سواد بن قارب يصف أُنَيْف بن حارثة: أنت أُنَيْف، قاري الضيف، ومعمل السيف، وخالط الشتاء بالصيف.

وشك الشيء: اقتراب وقوعه. البين: المفارقة، كأنه قصد الموت.

تختلف: تصعد وتنخفض.

مَا فِي الْخُدُودِ صُدُودٌ عَنْ سُيوفِهُمُ ولا عَنْ إِطْلَالِ صَرْفِ الْمَوْتِ تَنْحَرِفُ

الإطلال: الإشراف على الشيء. كذا التركيب: لا تنحرف عن إطلال صَرفِ الموتِ.

والصَرْف بالفتح: التحويل والرد، كأنه أضافه لفاعله. ولو كانت صِرف: فهو الخالص من كل شيء.

يعني أنهم لا يميلون بالخدود عن الموت والضرب إفراطا في الشجاعة، ولا يعبؤون بحضور الموت بين اختلاف السيوف والقتل.

عَوْدًا على بَدْءِ كرٍّ ما يُلينُهُمُ كَرَّ الصقورِ بنات الماء تَخْتَطِفُ

بنات الماء: الغرانيق، نوع طيور. كأن بدأه ما ألانهم فضربوا مرة بعد مرة حتى هدّوهم، كما تكر الصقور على هذه الطيور الضعيفة وتفترسها.

وَخَيْلُ بَكْرٍ فما تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ

يقول عمرو بن كلثوم:

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا

يَكُوْنُ ثِفالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِيْنَا

يشبّهون عملها بالطحن. ويقول إنهم قاتلوا قتالا طال بهم إلى نصف النهار لطوله وطول أهواله وشدتها.

الهَمُّ يَعلم أَنِّي كنتُ أُنْفِذُهُ إِذَا تَنَاوَمَ عَنْهُ الْعَاجِزُ الصَّلِف

أنفذ الأمرَ: أمضاه. الصَّلِفُ: الثقيل البغيض.

والْمَوْتُ يَعلمُ أَنَّا سوفَ نَحْضُرُهُ إِذَا تَخَلَّفَ عَنْهُ الْعَاجِزُ الْقُطُفُ

يعني حضور البأس والحرب. القطف: جمع قَطوف وهو بطيء السير. ولعل (العاجز) غير هذا، ولا أعرف رواية غيرها، وفي النفس شيء أيضا.

لو أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كان شارَكَنَا في يومِ ذِي قارَ ما أَخْطاهُمُ الشَّرَفُ

أي: لو وُزِّع على كل معدٍّ هذا الشرف لكفاهم وأغدق وفاض.

لا يومَ يَعْدِلُهُ مَجْدا وَمَكْرُمَةً عنَّا بذلك يوما واصِفٌ يَصِفُ

عدله به: جعله نظيرا له. أي: لا يساوينّ واصف منكم يوما بيوم ذي قار في مجده وكرمه.

✦ ✦ ✦ ✦ ✦

يرى أبو عبيدة أنها اختلطت بشعر للنابغة الشيباني. كذلك، وفيها خلط وسوء رواية ودراية من طابعها، وبعض أبيات حذفتها لأنها أخت ما ذُكر فهو من اختلاط الروايات. وأرى أيضا سوء رواية لكثير من الكلمات وسوء ضبط، فالذي فوق هو المطبوع المنشور وأقمت كثيرا منه، ويمنع من إقامة غيره وجوب إبقائه وخوفُ التحريف. والله أعلم.